

كتاب اللغة العربية للسنة الأولى متوسط - قراءة تربوية في ظل المقاربة النصية -

Arabic language book for the first year intermediate - educational reading in light of the textual approach-

تاريخ الإرسال: 2018-06-16

تاريخ القبول: 2018-10-17

الأستاذة: فاطمة بن سماعيل

sarasahraouia1@gmail.com

جامعة قاصدي مرباح، ورقلة (الجزائر)

الملخص

سعت الجزائر لإصلاح منظومتها التربوية باعتماد جملة من التغييرات التي شملت العديد من المحاور الكبرى في التعليم، واستندت في ذلك إلى تحديدات لمقاربات شتى كالمقاربة بالكفاءات، والمقاربة النصية باعتبارها اختيارا بيداغوجيا اعتمدت في تعليمية اللغة إذ يقتضي الربط بين التلقي والإنتاج، ويركز على اللغة كونها نظاما ينبغي إدراكه وتعلمه بإتقان، وهذا لن يتجسد إلا في شمولية حيث يتخذ النص محور بناء كلّ التعلّمات، ومن خلاله تُنمى كفاءات ميادين اللغة الأربعة للمتعلّمين، وفي هذا الصدد يعدّ الكتاب المدرسي أداة خاصة بالتعلّم، ووسيلة لتحقيق المقاربة النصية انطلاقا من نصوص متتابعة ومترابطة ضمن تدرج سنوي ووفق مقاطع تعليمية.

انطلاقا من هذا الطرح العام تسعى دراستنا إلى قراءة تربوية لمكونات كتاب اللغة العربية للسنة الأولى متوسط في ظل المقاربة النصية، وهذا حسب ما تملّيه مستجدات مناهج الجيل الثاني.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية؛ الكتاب المدرسي؛ السنة الأولى متوسط؛ المقاربة النصية.

Abstract

Algeria sought to reform its educational system by adopting a number of changes that included many major axes in education. This was based on innovations in various approaches, such as competency approach, and textual approach as a pedagogical choice adopted in language education. The language is a system that should be recognized and learned with mastery. This will only be reflected in comprehensiveness, where the text will be the focus of all learning. Texts based on sequential and interrelated texts within an annual hierarchy and according to educational sections.

Based on this public offering, our research paper seeks an educational reading of the components of the Arabic language book for the first year intermediate in the light of the textual approach, as dictated by the developments of the second generation curriculum.

Keywords: Arabic language; Textbook; The First Year of Middle School; Textual approach.

مقدمة

لقد شُيِّدت المناهج على مبدأ بيداغوجيا الإدماج (المقاربة بالكفاءات) مدخلا، وعلى المقاربة النصية منهجية، وعلى بيداغوجيا المشروعات استراتيجية، فإذا كانت المقاربة بالكفاءات تشكّل قاسما مشتركا بين المواد، فإن المقاربة النصية تركز على الاستعمال اللغوي انطلاقا من أسس واعتمادا على وظائف تربوية⁽¹⁾، وكتاب المتعلّم المقرّر، والذي يعدّ الوعاء الذي يحتوي المادّة التعليميّة التي يفترض فيها أنّها الأداة، أو إحدى الأدوات على الأقلّ التي تستطيع أن تجعل التلاميذ معلوماهم أكثر من غيره من المصادر، فضلا عن أنّه، أي الكتاب، هو الأساس الذي يستند إليه المدرّس في إعداد دروسه قبل أن يواجه تلاميذه في حجرة الدراسة⁽²⁾.

مشكلة الدراسة

يمثل الكتاب المدرسي وسيلة تدخل في صلب العملية التربوية والمعرفية والتواصلية بين مثلث العملية التربوية (معلم، متعلم ومعرفة) ومدخلا لدراسة المنظومة التربوية وتقويمها وتحليل مقوماتها الأساسية، كما يعكس فلسفتها الاجتماعية وغاياتها

وأهدافها بما يهيئ لاكتساب مهارات مختلفة. كذلك هو الحال بالنسبة للمنظومة التربوية الجزائرية، التي أعطت أهمية للكتاب ومضامينه المعرفية كأداة مدعمة للقائم الأول على العملية التعليمية المعلم/الأستاذ، الذي يتبع برنامجا معتمدا من قبل الوزارة الوصية، مدرجا في فهرس الكتاب⁽³⁾، وكتاب اللغة العربية للطور الأول من مرحلة التعليم المتوسط جاء ليحسد معالم ومفاهيم تم بلورتها في إصلاحات النظام التربوي الجزائري في مناهج الجيل الثاني، والتي استندت إلى المقاربة بالكفاءات باعتبارها أداة مساهمة في بناء الكفاءات على أساس مبدأ الحاجة والحرية، وهذا من منطلق أن البيداغوجيا تتطلب تخطيطات ديداكتيكية مرنة تقوم على ما يعرف بالوضعيات الحصة القابلة لإنتاج تعلّات حقيقية⁽⁴⁾، هذه المقاربة البيداغوجية الجديدة تسعى في مضامينها إلى ربط مختلف مكونات المادة اللغوية تحت سياق إجرائي تطبيقي يربط بين كل المهارات اللغوية بنسق تكاملي هي المقاربة النصية، باعتبار أن الأفكار والمفاهيم والتعلّات ليست أحكاما منعزلة بعضها عن بعض؛ إنما تندمج فيما بينها بحكم توقف السابق على اللاحق، وبحكم سريان التداخليات وتدققها العضوي المسترسل لكي تكوّن أنساقا منسجمة قليلا أو كثيرا⁽⁵⁾، وباعتبار الكتاب المدرسي الصورة العاكسة والإطار المترجم للمنهاج بكل أهدافه ومحتوياته وطرائقه وأساليب تقويمه والمقاربات المستند عليه، جاءت دراستنا لمحاولة الإجابة عن التساؤل الرئيس:

● ما مدى انسجام كتاب السنة الأولى متوسط مع تطبيقات المقاربة النصية؟

أولا: الكتاب المدرسي

1- تعريف الكتاب المدرسي

يمكن تعريف الكتاب المدرسي بأنه حامل بيداغوجي يتضمن مكونات البرنامج الدراسي لمادة أو أكثر، وغالبا ما يوجّه الكتاب المدرسي للتلميذ بحكم وظيفته في عمليات التعلّم والتحصّل، وتعدّد التعريفات المتعلقة به بناء على المدارس البيداغوجية والمقاربات المعتمدة، حيث يعتبر تارة وسيلة أو مؤلّفا أو دليلا، وقد يتوقّف على ملحق يعتبر دليلا للأستاذ أو مكملًا للتمرينات أو المعطيات⁽⁶⁾، وقد عرّف أبو الفتوح رضوان وآخرون الكتاب المدرسي بأنه وسيلة هامة تعليمية وتربوية، وأن الكتاب المدرسي كتاب رسمي يخضع لسلطة إدارية تقرّر قبوله أو رفضه⁽⁷⁾، يعتبر الكتاب المدرسي أداة عمل ودليل ومرشد، وهو الضامن البيداغوجي؛ أي أنه يهيكل التعليم بتحديد محتوى البرامج، التدرّج وطريقة الاستعمال كما يتدخل في التكوين الفكري والثقافي والوجداني والإيديولوجي للتمييز فيحفره، ويوجّه تفكيره⁽⁸⁾ فالكتاب المدرسي هو الوجه التطبيقي لما جاء في المنهاج من الأهداف والمحتوى والأنشطة والتقييم، وهو مجموعة من الوحدات المعرفية التي تستخدم بشكل يتناسب مع المستوى العمري للطلبة، فالمادة تناسب كل صفّ على حدة ولا تناسب غيره من الصفوف الأخرى، حتى يسهم في تحقيق التّم المتكامل للطلبة من جميع التّواحي النفسية، والعقلية والجسمية، والرّوحية والاجتماعية⁽⁹⁾.

2- مواصفات الكتاب المدرسي

مما لا شك فيه أن مواصفات كتاب اللغة العربية الجيد يُعدّ من العوامل التي تدفع الطلاب وتشوقهم إلى الدراسة، كما أنه قد يؤدي إلى نفورهم منها وانصرافهم عنه، ومن تلك المواصفات:

- التركيز على تنمية المهارات اللغوية (القراءة، الكتابة، الاستماع، المحادثة).
- أن تكون لغة الكتاب سليمة من الناحية النحوية واللغوية؛
- التزام الكتاب بقواعد التنقيط والترقيم وضبط الكلمات بالشكل التام؛

- أن يعرض كتاب اللغة العربية الوحدات على أساس من التكامل في المعرفة اللغوية؛
- أن يركز كتاب اللغة العربية على توضيح معاني المفردات الصعبة؛
- أن يعمل كتاب اللغة العربية على تنمية التذوق الأدبي لدى المتعلمين؛
- أن يتضمن كتاب اللغة العربية قدرًا من النصوص الشعرية التقليدية العمودية؛
- أن يعمل كتاب اللغة العربية على تغذية خيال المتعلمين وتوسعة مداركها؛
- أن يلتزم كتاب اللغة العربية التشكيل النحوي. (10)

3- أهمية الكتاب المدرسي

يُظهر الكتاب المدرسي الأهمية الكبيرة والبالغة والتي لا يمكن إغفالها لكل من المعلم والمتعلم، ومن هنا فإن الكتاب المدرسي يجب أن يعرض الخبرات التعليمية بصورة منطقية لأفكار مبحث معين من جهة تناسب مطالب النمو، ومبادئ التعلم من جهة أخرى، ويعمل الكتاب على تنمية القدرة لدى الطلاب على القراءة في مبحث ما، كما يساعد في القدرة على القراءة في مجالات ومباحث أخرى، ويعدّ الكتاب المدرسي من أدوات الطالب في المراجعة للمادة الدراسية في أي وقت يريد، ويتأكد من المعلومات ويزوّده بالأمثلة والتطبيقات في العمل على ربطها ببيئته، كما يوفرّ الفرص المتعددة والكافية للطلاب في تنمية ميولهم وقدراتهم وحاجاتهم ورغباتهم، ويتدرّبون على بعض المهارات والعادات التي من شأنها التعرف على مواقف الحياة بمختلف جوانبها، وتساعدهم وتمكّنهم من الاندماج والانسجام والتوافق مع بيئتهم المحلية انسجامًا طبيعيًا بغية حلّ مشكلاتهم العامة (11).

إن الكتاب المدرسي له من الأهمية الكبرى فهو لا يعدّ مجرد وسيلة تعليمية؛ إنما من الدعائم الأساسية لنجاح العملية التعليمية التعليمية.

ثانيا: المقاربة النصية

1- مقاربات جديدة وفق إصلاحات تربوية جديدة

إن توحيد الرؤية لإصلاح الأنظمة التربوية عالميا، إن كان على مستوى الأسلاك أو على مستوى الانطلاق من المواصفات والمنتظرات ومراجع الكفاءات، أو على مستوى علاقة المدرسة بالمحيط فرض تصورات متماثلة كثيرة منها:

- التفكير بالكفاءات الأساسية أو التعلّمات الأساسية.
- الانطلاق من مراجع للكفاءات أو من المواصفات العامة بدل أهداف المادة في حد ذاتها.
- تجاوز التخصصات إلى تداخل التخصصات (12).

وبالنظر في هذه الرؤى والمساعي لتجسيد الخطوات العرضية لإصلاح النظام التربوي عالميا، ووفق هذا التصور البيداغوجي العام المؤسّس إلى تحوّل في الوظائف والأدوار التربوية انتهجت الجزائر ممثلة في وزارة التربية إلى تحسين مناهجها تحت مسمى : مناهج الجيل الثاني، والتي تعدّ حسب المنشور رقم 880 المؤرخ بتاريخ 09 ماي 2016 مناهج تعليمية محسّنة (والوثائق المرافقة لها)، تمنح مكانة خاصة للقيم وتعزيز الهوية الوطنية، صممت وفق المقاربة بالكفاءات، وبطريقة أكثر انسجاما وأكثر تدرجا، يجعل التلميذ في قلب التعليمات، يبني معارفه بنفسه انطلاقا من وضعيات مركبة (13). وقد تدرجت مقاربات بناء هذه المناهج من تبني واضعيها مقاربات قصد الوصول إلى تحقيق الأهداف المسطرة، ولتحقيق أكبر قدر ممكن

من الاستفادة للمتعلمين، والمدرسة الجزائرية نهجت في سياستها التربوية مقاربات مختلفة من المقاربة بالمحتوى إلى المقاربة بالأهداف فالمقاربة بالكفاءات التي تجعل المتعلم محور العملية التعليمية التعلمية، وتقدم له استراتيجيات تعتمد على الطريقتين: البنائية والبنائية الاجتماعية لتمكّنه من بناء كفاءاته في وضعيات ذات دلالة.

2- تعريف المقاربة النصية

إن المقاربة النصية حسب حشروي (2012) هي جعل النص بمختلف أشكاله: الحكاية، المقطوعة الموزونة، الحوار، النشيد أو بمختلف أنماطه: الإخباري، الحوار، الوصفي... منطلقا لجميع الأنشطة اللغوية اللازمة ومحلا لممارسة الفعل التعليمي من أجل اكساب المتعلم المهارات اللغوية اللازمة للوصول به إلى التحكم في مختلف الكفاءات المستهدفة. وتمثل المقاربة النصية في نص يقرأه كل من المعلم والمتعلم ثم يمارس المتعلمون من خلاله التعبير والتواصل، ويتعرفون على كيفية بنائه، ويتلمسون منه القواعد النحوية والصرفية والإملائية ليدمجوها في إنتاجهم الكتابي (الانطلاق من النص والرجوع إليه والانتهاج) (14).

فالمقاربة النصية اختيار بيداغوجي يقتضي الربط بين التلقي والإنتاج، ويجسد النظر إلى اللغة باعتبارها نظاما ينبغي إدراكه في شمولية، حيث يمثل النصّ البنية الكبرى التي تظهر فيها كل المستويات اللغوية والصوتية والدلالية والنحوية والصرفية والأسلوبية، وبهذا يصبح النصّ (المنطوق أو المكتوب) محور العملية التعليمية، ومن خلالهما تنمى كفاءات ميادين اللغة، ويتم تناول النصّ على مستويين:

- **المستوى الدلالي:** ويتعلق بإصدار أحكام على وظيفة المركبات النصية (المعجم اللغوي، الدلالات الفكرية...)، إذ يعتبر النصّ مجموعة جمل مركبة مترابطة تحقق قصدا تبليغيا وتحمل رسالة هادفة.
- **المستوى النحوي:** ويقصد به الجانب التركيبي لوحدات الجملة التي تشكل تجانسا نسقيا، يُحدّد الأدوار الوظيفية للكلمات.

ويقترح المنهاج تناول مختلف الأنماط مع التركيز في كلّ مستوى على نمط أو نمطين (15)

3- أساس المقاربة النصية

تعتمد المقاربة النصية على التماسك بين الجمل المكوّنة للنص والسياق النصي بحيث يتم فعل القراءة والكتابة على أساس هذه القواعد في حركات حلزونية، فالمتعلم وهو في مرحلة التحليل يقرأ ويكتب ثم يجرب القراءة بكيفية أخرى، ثم يعمد إلى دراسة الظاهرة النحوية أو الصرفية أو الإملائية من خلال النص المقروء، وبعدها يستنتج القاعدة الجزئية ثم الكلية وفق الطريقة الاستقرائية مع العودة دائما إلى نصّ القراءة، وهكذا تبدو تلك الصلة الفعلية والمتواصلة والمتكاملة بين الأنشطة اللغوية المختلفة. وبالتالي تكون هذه الأنشطة اللغوية في خدمة تنمية كفاءة المتعلم القرائية والكتابية.

باختصار يمكن القول بأن النص باعتبار المنطلق في تقديم الأنشطة اللغوية يعتبر هو البنية الكبرى التي تظهر فيه كل المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وهو بذلك يكون المحور الذي تدور حوله جميع الأنشطة اللغوية وعليه فهو الأساس في بناء الكفاءات المختلفة (القرائية والتعبيرية والكتابية والتحليلية).

4- مزايا المقاربة النصية

- تساعد المتعلم على توظيف مكتسباته القبلية .

- تسمح بتنوع أشكال التعبير التي تقدّم للمتعلّمين، وذلك من خلال تنوع أنماط النصوص التي تكون منطلقا لمختلف الأنشطة.

- تستدعي تعويد المتعلّم على بعض طرائق التعامل مع النصّ مهما كانت بسيطة مثل:

- تدوين المعلومات حيث يقرأ ويسمع.

- التعليق شفويا أو كتابيا عندما يقرأ أو يسمع.

- وصف ما يشاهد من الأشياء.

- التدريب على فهم و إدراك ما يطلب منه فعله.

- المبادرة باختصار الكلام وحوصلته.

- تجعل المتعلم قادرا على الحكم على قدراته وإمكاناته اللغوية في حلّ المشكلات التي يعرضها عليه النص (اكتشاف معاني ومدلولات المفردات في سياقها الطبيعي وبيئتها الحقيقية)⁽¹⁶⁾.

5-المقاربة النصّية وتنمية قدرات المتعلمين

يهدف تعليم وتعلم اللغة العربية إجمالا، وفي مرحلة التعليم المتوسط على وجه الخصوص إلى تزويد المتعلّمين بالمهارات الأساسية اللازمة للقراءة الجيدة وفهم معانيها، والكتابة بأسلوب راق مع إكسابه مفردات قوية وسياقات متنوعة للتراكيب والمعاني والبلاغة والأساليب، وجاءت المقاربة النصّية لتحقيق هذه الأهداف في صورة التكامل بين نصوصها، هذه المقاربة التي تعمل على إحداث ونمو التطور اللغوي للمتعلّم، إذ يعدّ إتقان اللغة من أبرز الإنجازات التطورية للطفل لأن اللغة من أعقد مظاهر التّمو التي يتعلّمها الفرد، فإن لم تتوفر الفرصة أمام الطفل لتنمية محصوله من المفردات فإن ذلك يترك أثرا باقيا على قدرته اللغوية فيما بعد، وعندما تزداد مفردات الطفل فإنه يغيّر من علاقته بالبيئة التي يعيش فيها بجانبها المادي والاجتماعي، وتساعد زيادة معارف التلميذ اللغوية على التعبير عن أفكاره ومشاعره وتلبية حاجاته، وعن طريقها يتم التبادل والتواصل كما تعد اللغة عنصرا مهما من العناصر التعليمية⁽¹⁷⁾، ويتعلّم التلميذ وفقا للمقاربة النصّية مهارات التفكير والتي يكتسب منها التفكير الاستدلالي والتفكير الناقد والتفكير الإبداعي، كما يُوظّف ويُنمّي قدرات عقلية كالإدراك، والتذكر، والانتباه، والذكاء، وذلك خلال عمليات الربط والبناء بالرجوع إلى النص الأصلي (فهم المكتوب) واستثماره كبنية جديدة لبناء مفاهيم أخرى في ميادين تلحق ميدان فهم المكتوب تسلسلا وتباعا، فالمهام المطلوبة من المتعلّمين تطرح تحديات كبيرة تدعوهم إلى التفكير واسترجاع المعلومات السابقة لإعادة توظيفها من جديد في بنية إنتاجية نصّية هو ميدان إنتاج المكتوب.

إن النماذج والطرق البيداغوجية الحديثة تدعو إلى تأسيس الممارسة التربوية التعليمية على النشاط الدّائي، وأن يتعلّم عن طريق ذكائه وقدراته العقلية عوض أن يكتفي بتلقي المعلومات جاهزة من الخارج، أي من المدرّس، هي في حقيقة الأمر دعوة إلى احترام قوانين الذكاء باعتباره نشاطا حقيقيا وعملية بناء متواصلة⁽¹⁸⁾.

6- المقاربة النصّية ضرورة أملتتها المناهج الحديثة والمحسنة

إن المناهج الحديثة والمحسنة استندت على المقاربة بالكفاءات المبنية على منطق التعلم المتمركز على نشاطات واستجابات التلميذ الذي يواجه وضعيات إشكالية، فالمهم ليس في تلقين التلميذ معارف فحسب بل أيضا وبالخصوص في استعمال قدراته في وضعيات يومية تنطبق على حياته وتساعد على التعلم بنفسه، وهكذا ينبغي أن يزود التلميذ بالأدوات

الملائمة حتى يتسنى له حل المشكلات مرحلة بمرحلة، ويصير بذلك قادرا على النجاح ويتمتع بالأهلية لمواجهة المجتمع الذي لا بد له من العيش فيه.

تتميز هذه المقاربة عن غيرها أساسا بطابعها الإدماجي، وبقدرتها على إقامة معبر بين المعرفة من جهة، وبين الكفاءات والسلوكيات من جهة أخرى، وبذلك تزول الحدود بين المواد العلمية، لتساهم كل مادة بقسطها في تطور الطفل وفي تكوين شخصية سليمة ومستقلة وقادرة على التكوين الذاتي في معترك الحياة⁽¹⁹⁾.

وباعتبار المقاربة النصية من المقاربات التي توصي بها منهاجنا من أجل تحقيق جملة من الأهداف التي ترمي إليها ومن بينها البناء اللغوي إذ تحث على :

— أن تتم معاملة اللغة العربية على أنها كلّ ملتحم، أي تناول النصّ على أنه كلّ وأنه ذو بعدين هما المعنى والمبنى، فضلا على أبعاد أخرى تتعلق بمؤلف النصّ، وبنيته، وهدفه، والسياق الزمني الذي ظهر فيه .

— تستهدف المقاربة النصية أن نصل بتلاميذنا إلى فك أسرار النصوص من حيث خصوصياتها، أي آليات اشتغال النصوص المستهدفة، والتالي إلى إنتاج ما يماثلها، حيث يقتضي المقام ذلك.

— توجه العناية إلى مستوى النصّ وليست الجملة، إذ تعلّم اللّغة يعني التعامل معها من حيث خطاب منسجم العناصر متّسق الأجزاء.

— تقتضي المقاربة النصية التحكّم في الإنتاج الشفوي والكتابي، وفق منطق البناء لا التراكم، إذ تعدّ النصوص رافدا قويا يمكن المتعلّم من ممارسة كفاءاته عن طريق تفعيل مكتسباته، فالنصّ هو محور الدراسة، وهو نقطة الانطلاق، ونقطة الوصول أيضا، فالمقاربة النصية مقارنة تعليمية تهتم ببنية النصّ ونظامه⁽²⁰⁾.

ثالثا: المقاربة النصية في كتاب السنة الأولى متوسط

1- الكتاب المدرسي (كتاب المتعلّم للسنة الأولى متوسط)

الكتاب المدرسي أداة خاصّة بالمتعلّم يستعين بها في بناء تعلّماته، واكتساب مهاراته، وإثراء كفاءاته يعتمد عليه في بيته قبل الأفعال التعلّمية لاكتساب الفهم الأوّلي والتمكّن من البناء الأوّلي للمعارف والمهارات بتوجيهات من الأستاذ، وبعد الأفعال التعلّمية لإنجاز تربيته ومختلف الوظائف التي يكلف بها قصد الدّعم والتّشجيع. ويعدّ سندا تربويا في القسم بمعية أستاذه وزملائه، فتحسّن القراءة ويحسنّ الفهم ويكمل تحت إشراف الأستاذ كما تحسن المنهجيات، فتحدث الاستفادة ويعمّ النّفع وتتحقّق الأهداف⁽²¹⁾، ونظرا لأهمية الكتاب المدرسي في العمليّة التعلّمية، فلا بدّ من العناية به من حيث الشكل والمضمون، ومن هنا يتم وضع وتحديد الشروط والمواصفات التي ينبغي أن تتوافر في الكتاب المدرسي وتمثّل في:

- التزام الكتاب المدرسي بالمنهاج وخطوطه العريضة.
- مناسبة الكتاب المدرسي لعدد الحصص المقرّرة خلال الفصل الدراسي والسنة الدراسية.
- مراعاته للحدّات والدقّة العلميّة في أسلوب عرضه.
- مراعاة التكامل والتتابع في وضع المفاهيم وعرض المادة العلميّة.
- مراعاة شروط الإخراج الجيّد للكتاب من حيث الشّكل والطّباعة ونوع الورق وحجم الخط والتّجليد ومناسبة الفراغ بين الأسطر⁽²²⁾.

إن كتاب اللغة العربية يحوي على 155 صفحة من تأليف محفوظ كحوال، مفتش التربية الوطنية مادة اللغة العربية، ومحمد بومشاط أستاذ التعليم المتوسط مادة اللغة العربية، والكتاب يتدرج وفق الحجم الساعي المقرر للسنة الأولى من التعليم المتوسط في مادة اللغة العربية، والذي يقدر بـ خمس (05) ساعات ونصف، بحيث توزع تباعاً على الميادين التالية بحجم ساعة لكل ميدان ساعة واحدة: فهم المنطوق وإنتاجه، فهم المكتوب (قراءة مشروحة)، الظاهرة اللغوية، فهم المكتوب (دراسة نص)، إنتاج المكتوب، ونصف ساعة للأعمال الموجهة، والتوقيت السنوي محسوب على أساس 32 أسبوعاً دراسياً وأربعة (04) أسابيع للتقويم المرحلي والإقراري.

يقوم كتاب اللغة العربية للسنة الأولى متوسط في أساسه على المقاربة بالكفاءات كاختيار تربوي، والمقاربة النصية كاختيار منهجي.

2- التجسيديات النظرية والتطبيقية للمقاربة النصية في كتاب السنة الأولى متوسط

يشتمل الكتاب المدرسي للغة العربية الخاص بالسنة الأولى من التعليم المتوسط على ثمانية مقاطع تربوية متنوعة موزعة على عدة مجالات:

الحياة العائلية، حب الوطن، عظماء الإنسانية، الأخلاق والمجتمع، العلم والاكتشافات العلمية، الأعياد، الطبيعة، الصحة والرياضة، وهي مقاطع ذات دلالة بالنسبة للمتعلم ومن صميم واقعه المعيش وهي موحية بقيم أسرية ووطنية وإنسانية وأخلاقية واجتماعية، كفيلة بإحداث التواصل والتفاعل والانفعال، إنها تُرهف الحس وتقدح زناد الفكر، فيحدث التفكير وتحسُّن اللغة والتعبير، فيحصل الذوق السليم والإبداع وتتفجر القرائح والمواهب (23).

إن الفصل بين ميادين اللغة العربية في الكتاب المدرسي من فهم المنطوق وإنتاجه إلى فهم المكتوب وإنتاج المكتوب ما هو إلا فصل منهجي لتسهيل عمليتي بناء المناهج وتنفيذها، والمطلوب أن يراعي الأستاذ التداخل بين جميع الميادين. ويشكل ميدان فهم المنطوق وإنتاجه (التعبير الشفاهي والتواصل) منطلق ميادين اللغة العربية على مستوى محتويات مناهج الجيل الثاني المقررة للسنوات الأولى، الثانية والثالثة متوسط.

واستناداً إلى دليل الأستاذ للغة العربية، السنة الأولى، تم الإشارة إلى العمل بالمقاربة النصية في أكثر من موضع تذكيراً بضرورة تفعيلها داخل حجرة الدرس بميادين اللغة العربية، ففي بنود طريقة تنفيذ التعلّمات في ميدان الظاهرة اللغوية يسأل المعلم المتعلّمين أسئلة متعلّقة ببعض الأساليب الواردة الواردة في النص، وذلك بتوجيه المتعلّمين لاستخراج الشواهد من النصّ المقروء والمدرّوس من الناحية الفكرية والأسلوبية آنفاً (ميدان فهم المكتوب قراءة مشروحة)، مستخدماً بذلك المقاربة النصية، وبميدان إنتاج المكتوب في العديد من محتوياته وفي مراحل طريقة تنفيذ التعلّمات كذلك إشارة إلى توظيف المقاربة نفسها بتوجيه المتعلّمين إلى فقرة أو سند من النصوص المدروسة السابقة في نفس المقطع التعلّمي (24)؛ أما في الكتاب المدرسي – كتابي في اللغة العربية – تم لفت الانتباه إلى مصطلح المقاربة النصية بعبارة " يُتخذ سندا " في الصفحة الأولى من تقديم الكتاب، لأنه موجه بالدرجة الأولى إلى المتعلّمين تناسباً مع قدراتهم المعرفية، ونخذ مثالا عن ذلك :

ينجز التلميذ المقطع الواحد من المقاطع التعليمية في مدة شهر، ويحتوي ميادين محددة هي:

ميدان فهم المكتوب:

– قراءة مشروحة: يُقرأ ويُدرّس، ويُتخذ سندا للظاهرة اللغوية.

- دراسة النصّ الأدبي: يُقرأ ويُدرس أدبياً، ويُتخذ سنداً للظاهرة البلاغية، وبعض الأساليب الفنية ذات الجودة والفرادة والتّميّز (25).

والمقاربة النصّية المعتمدة في تدريس ميادين اللغة العربيّة تفرض الانطلاق من ميدان فهم المكتوب عند دراسة الظواهر النحوية أو الصرفية أو الإملائية أو البلاغية، ليكون الاستثمار الكلّي لكلّ ما تعلّمه التلميذ من معارف في الميادين السابقة من فهم المنطوق إلى المكتوب في نهاية المطاف في مرحلة التعبير الكتابي (إنتاج المكتوب)، والذي يعدّ هدفاً يرمي إليه المنهاج بتحقيق الكفاءة الشاملة لمرحلة التعليم في مادّة اللغة العربيّة في أن يتواصل التلميذ بلغة سليمة، ويقراً قراءة تحليلية واعية نصوصاً متنوعة الأنماط، لا تقل عن مائتي كلمة ويُنتجها مشافهةً وكتابةً بأساليب لغوية منسجمة في وضعيات تواصلية دالة (26).

وعند قراءتنا ل: "كتابي في اللغة العربيّة للسنة الأولى متوسط" وبعد دراسة شاملة لمضامين ميادين اللغة تسلسلاً ألفينا

أن المقاربة النصية مجسّدة بشكل نظري في:

- تكامل الميادين وتحقيقها لمبدأ البنائية في تكون المعارف لدى المتعلّمين، ونعطي مثالا عن ذلك:

المقطع التعليمي الأول عنوانه: الحياة العائلية، والكفاءة الختامية لهذا المقطع تتمثل في:

ينتج المتعلّم نصّاً متّسقاً ومنسجماً، يتحدّث فيه عن حقيقة العلاقات بين أفراد الأسرة، بلغة سليمة، يتضمّن قيماً أُسريّة، يوظّف فيه النمط السردّي والتّعت، وأفعالاً ذات أزمنة مختلفة، والضّمير وأنواعه، وعلامات الوقف المناسبة (27)، نجد في الظاهرة اللغوية كميدان ثالث في المحتوى التعلّمي: النعت الحقيقي، إشارة للرجوع إلى نص القراءة " ابنتي" للكاتب إبراهيم عبد القادر المازني عن قصّة حياة لاستثمار بعض الجمل المنعوتة فيه، وفي ميدان إنتاج المكتوب من نفس المقطع تحت عنوان الدرس: آداب تناول الكلمة تلميح واضح للعمل بالمقاربة النصّية في الوضعية المشكّلة الانطلاقية:

أنت تشارك في بناء تعلّماتك، وفي ميدان فهم المنطوق أنت مطالب بالإنتاج الشفوي وتناول الكلمة، ولا بدّ من أن تكون لك آداب تناول الكلمة. فكيف تتناول الكلمة؟ حاول وضع خطّة مناسبة (28)؛ إلا أنّه ما أخذ عن المقاربة النصّية مأخذ وجود نقائص عديدة انطلاقاً من الممارسة الميدانية تجلّت في:

- نصوص فهم المكتوب والتي تعدّ مورداً لتدريب المتعلّمين على الاستثمار منها لبقية الميادين الأخرى يجب أن تحمل استدامة التحفيز عند المتعلّم وتفعيل العقل عنده، والدفع إلى إتمام النشاط التعلّمي والوصول إلى تحقيق الأهداف المتوخّاة منه ممّا يرسّخ المتعلّم في تعلّمه ويعطيه دفعا للتعلّم في المستقبل وقدرته على تنظيم نشاطاته التعليمية، وعلى الاستفادة منها في تعلّمه المستقبلي (29)، وبالتالي يستطيع المتعلّم استرجاع المعلومات التي رسخت في ذهنه بيسر ليوظفها في حلقة دائرية لبقية الميادين الأخرى ويقدر على تذكرها مادام مضمون النصّ الأوّل مشوّقا، هادفاً واحتوى على ما يسترعي انتباهه له.

فالتربية المدرسية ينبغي أن تعمل على الاستجابة لحاجات التلميذ، بحكم أن هذه الحاجات، كما أثبتته الدراسات السيكلوجية الحديثة، هي المحرك الرئيس لنشاط الإنسان/التلميذ، بحيث أن هذا الأخير لا يقوم تلقائياً بأي عمل أو نشاط، ولا يُقبل على التعليم، ولا يشارك فيه إلا إذا كان يستجيب لحاجاته ورغباته، ويساعده على حلّ المشاكل التي يواجهها، تحقيقاً للتكيّف الأمثل مع محيطه الطّبيعي والاجتماعي (30).

- توظيف تعلمات المتعلم في ميدان البناء اللغوي تربط في غالبيتها على نص فهم المكتوب قراءة مشروحة، فالمقارنة النصية تقوم على أساس اتخاذ النص محورا لكل التعليمات الأخرى حيث تدور حوله جميع نشاطات اللغة، فهو منطلق في تدريسها، وهو الأساس في بناء الكفاءات اللغوية، والمقارنة النصية من حيث هي مقارنة تعليمية، فهي الطريقة الاستقرائية المعدلة التي تنطلق في دراسة قواعد اللغة العربية من النص الأدبي وهي أحدث الطرائق، إذ تقوم على تحليل الظواهر اللغوية في النص وما تحويه من خصائص، ويعقب ذلك استنباط القاعدة منها، وفيها يتم تدريس قواعد اللغة في ظل اللغة، تبرز القواعد بالتراكيب والتعبير والقراءة بدل تدريسها مستقلة⁽³¹⁾؛ لكن ما لاحظناه أنه هناك بعض الجزئيات من عناصر الدرس في الظاهرة اللغوية لا نجد له ما يطابقه من عبارة أو لفظة مناسبة من نص القراءة (فهم المكتوب) حتى يُقتبس منه، لذا فعلى الأستاذ أن يجتهد ويبيّن جملا كتمة لهذا البتر الموجود في النصّ الأصلي ومن أمثلة ذلك: في المحتوى التعليمي: أسماء الإشارة، نجد من الرافد الأول (نص متعة العودة إلى الوطن لمولود فرعون) أسماء الإشارة هذه وهؤلاء أما ما يدلّ على المكان مثلا "هنا، هناك" فاسم الإشارة "هنالك" غير موظف، كذلك في درس الفاعل وجود أمثلة من النصّ الأصلي "الوطني" محمد الصالح الصديق كاسم ظاهر وكضمير؛ أما في حالة كونه مؤخرا غير موجود في النص علما أنه في التطبيقات المعدة للمتعلمين في الكتاب وجدت العبارة التالية للإعراب: إنا هذب الناس الدين القويم.

في هذه الحالة وحالات كثيرة يلجأ الأساتذة إلى تعديلات وإضافات باستعمال مصادر تعليمية من مراجع مختلفة باعتبارها إثرائية ومساندة للكتب المدرسية المقررة؛ إلا أنه قد يُحدث تباينا وفروقات شتى في تحصيل المتعلمين لاختلاف السند المعتمد عليه.

- وجود بعض الظواهر اللغوية التي لا تتناسب وقدرات المتعلمين في السنة الأولى متوسط ومن أمثلتها الدرس الأول "النتع السبي " من المقطع التعليمي الثاني: حبّ الوطن، وحتى في تدرّج المحتويات المعرفية من السهل إلى الصعب نجد من بين الأمثلة: درس " التاء المفتوحة" في المقطع السادس بدل وجوده مع المحتويات المعرفية الأولى لضرورة توظيف التاء المفتوحة في جميع ميادين اللغة، وكذلك يجب الانتقال من النصوص الأدبية سهلة التناول إلى الصعبة منها، وهذا ما أكد عليه أبو شوك (1990) بعدم الابتداء بأي حال من الأحوال بالإنتاجات التراثية القديمة، ذلك لأن المنهج التعليمي يجب أن يتمحور حول التلميذ، وينطلق من معطيات بيئته السوسيوثقافية، آخذين بعين الاعتبار حاجياته اللغوية وتطور نموه السيكولوجي⁽³²⁾، وبهذا لا بدّ من إيجاد توازن بين قدرات المتعلمين اللغوية والحصيلة المعرفية لهم والنصوص المنتقاة والكفاءة النهائية المراد الوصول إليها مع المتعلمين، فالعمل وفق المقارنة بالكفاءات محوره وأساسه المتعلم الذي يعدّ العنصر الفعّال في بناء وإنتاج المعرفة وما المعلم إلا موجه له.

والمداخل الحديثة للغة التي تعمل وفق المقارنة النصية أكدت في مسألة تعلّم اللغة على تكامل مهارات اللغة، ويجب أن تدرس بدون فصل ليصبح التعلّم فعّالا متكاملًا، ولهذا لا يمكن الفصل بين المهارات اللغوية وبين المهام التدريسية المختلفة المقدّمة للتلاميذ حيث يمكن تعلّم مهارات اللغة الأربع (الاستماع، التحدّث، القراءة والكتابة) جميعا على أفضل نحو ممكن من خلال المواقف الحقيقية الواقعية؛ فيستطيع المتعلمون الوصول إلى تحقيق أهدافهم المنشودة عند استخدام اللغة في إطار اجتماعي حقيقي له طابع واقعي، وأن هذا الاستخدام الكلي للغة يتيح للمتعلّم فرصة التفاعل مع اللغة المستهدفة من جميع الزوايا فيحدث التعلّم الحقيقي⁽³³⁾.

من المهمّ عند تدريس اللغة العربية أن تكون الغاية المراد تحقيقها هي الوصول بالمتعلّم إلى استخدام اللغة بفاعلية في حياتهم لحل مشكلاتهم الخاصّة، ومقابلة احتياجاتهم وإشباع اهتماماتهم وللتواصل باستخدام التعبير شفاهياً وكتابياً، كل هذا محقق عن طريق تفعيل كل المقاربات الموصلة إلى عملية تعليم وتعلم اللغة العربية وعلى رأسها انتهاج المقاربة النصيّة، والتي تساعد المتعلم على إدراك معنى البناء التعليمي في مدرسته وفي حياته، باعتبار أن التعلّم غدا ملازماً للإنسان في العصر الحاضر المتسارع في تقدّمه، والنجاح في التعلّم يعني في ما يعنيه اكتساب المتعلّم القدرة على تقويم فهمه واستيعابه للمسائل التي تُطرح عليه مما يسمح له بتقدير ما فهمه وما لم يفهمه.

اقتراحات: في ضوء الإطار النظري الذي اعتمدنا عليه نقترح ما يلي:

- التمحيص الدقيق في نصوص فهم المكتوب باعتبارها المنبع الأصلي لبناء بقية الميادين ودليل مهمّ وفعل لنجاعة المقاربة النصيّة بغية تحقيق الكفاءة الشاملة للمتعلّمين وترسيخ المعارف الكلية للغة العربيّة.
- ضرورة وضع برامج ومناهج تتناسب وميول المتعلمين حاملة للقيم الدينية، الوطنية والعالمية.
- ضرورة التدرّج في المعارف المعمّقة حسب قدرات المتعلمين.
- إنشاء لجان متخصصة لإعادة دراسة مضامين الكتب المدرسيّة للإحاطة بكل عراقيل تطبيق المقاربة النصيّة بعد رصد إجمالي لملاحظات الأساتذة الميدانية باعتبارهم المنهل الأساس .
- إخضاع الكتب المدرسية للمراجعة والتطوير بشكل دوري، وذلك لمجاراة التغيرات والمستجدّات العالميّة المتسارعة.

الهوامش

- (1) إسماعيل بوزيدي، تقييم فاعليّة الكتاب المدرسيّ في التحصيل اللغويّ للغة العربيّة كتاب لغتي الوظيفيّة للسنة الثّانية من التعليم الابتدائيّ، مجلّة العربيّة، العدد 06، 2015، ص 63.
- (2) عبد الكريم غريب، المنهل التربوي، ط1، منشورات عالم التربية، المغرب، 2006، ص 50.
- (3) محمد الأمين دوقاني، دور الكتب التعليمية في ترسيخ قيم المواطنة لدى التلاميذ: قراءة تحليلية لمضمون كتاب التربية المدنية للسنة الثالثة متوسط، مجلة البحوث التربوية والتعليمية، العدد 09، 2016، ص 249.
- (4) عبد الباسط هويدي، المنظومة التربوية الجزائرية من خلال تطبيق استراتيجية التدريس عن طريق مقارنة الكفاءات، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2016، ص 138.
- (5) عبد الرحيم الضاقية، مسارات إصلاح المدرسة دراسة مفاهيمية نقدية، ط1، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، مراكش، المغرب، 2015، ص 31.
- (6) المرجع السابق، ص 111.
- (7) رضوان أبو الفتوح وآخرون، الكتاب المدرسي تاريخه أسسه تقويمه واستخدامه، مكتبة إنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1962، ص 195.
- (8) آيت عبد السلام، إعداد وتقييم الكتاب، ب ط، مصر، 1995، ص 09.
- (9) محمّد محمود ساري حمادنة وخالد حسين محمّد عبيدات، مفاهيم التدريس في العصر الحديث طرائق أساليب استراتيجيات، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012، ص 211.
- (10) فاطمة سعدي، شبكة تقويم الكتاب المدرسي في ضوء معايير الجودة الشاملة، مجلة جسور المعرفة، العدد 10، 2017، ص 491.
- (11) محمّد محمود ساري حمادنة، وخالد حسين محمّد عبيدات، مرجع سابق، ص 214.
- (12) الكفايات في علوم التربية، بناء كفاية، ترجمة الحسن اللحية، إفريقيا الشرق، ب س، ص 14-15.
- (13) وزارة التربية الوطنية، المنشور رقم 880 المؤرخ بتاريخ 09 ماي 2016، المنشور الإطار للسنة الدراسية 2016_2017، ص 02.

- (¹⁴) محمد الصالح حثروبي، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي وفق النصوص المرجعية والمناهج الرسمية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2012، ص ص 122-123.
- (¹⁵) وزارة التربية الوطنية، ملخص مناهج الطّور الأول من التعليم المتوسّط، 2016، ص 06.
- (¹⁶) محمد الصالح حثروبي، مرجع سابق، ص ص 123-124.
- (¹⁷) إيمان عباس الحفاف، التنمية اللغوية للأسرة والمعلّم والباحث الجامعي، ط1، عمان، دار الكتب العربية، 2014، ص ص 114-115.
- (¹⁸) محمّد مومن، بيداغوجيا النّظام التعليمي المغربي في أبعادها التّمثليّة والسّلطوية والعلائقيّة بين التقليد والتّحديث، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 2016، ص 55.
- (¹⁹) صبرينة حديدان، وشريفة معدن، مدخل إلى تطبيق المقاربة بالكفاءات في ظل الإصلاح التربوي الجديد في الجزائر، ملتقى التكوّن بالكفايات في التربية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.
- (²⁰) إسماعيل بوزيدي، مرجع سابق، ص ص 64-65.
- (²¹) وزارة التربية الوطنية، دليل الأستاذ اللغة العربية للسنة الأولى متوسط، موفيم للنشر، 2016، ص 21.
- (²²) محمّد محمود ساري حمادنة، وخالد حسين محمّد عبيدات، مرجع سابق، ص ص 216-217.
- (²³) المرجع السابق، ص ص 14-22.
- (²⁴) المرجع السابق، ص ص 18-20.
- (²⁵) وزارة التربية الوطنيّة، كتابي في اللغة العربية، 2016، ص 01.
- (²⁶) وزارة التربية الوطنيّة، ملخص مناهج الطّور الأول من التّعليم المتوسّط، مرجع سابق، ص 06.
- (²⁷) وزارة التربية الوطنيّة، كتابي في اللغة العربيّة، مرجع سابق، ص 11.
- (²⁸) المرجع السابق، ص 15.
- (²⁹) أنطوان صّباح، التّفكير اللّغة والتّعليم، ط1، دار التّهضة العربيّة، بيروت، لبنان، 2016، ص 113.
- (³⁰) محمّد مومن، مرجع سابق، ص 54.
- (³¹) حسن شحاتة، تعليم اللغة العربيّة بين النّظرية والتّطبيق، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ب س، ص 222.
- (³²) مصطفى أبو شوّك، تعلّم اللغة العربية وثقافتها، ط1، دار الهلال، الرّباط، 1990، ص 41.
- (³³) حسن شحاتة، استراتيجيات حديثة في تعليم اللغة العربية وتعلّمها، ط2، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2016، ص 178.